@ 429 @ الأخلاق والأعمال وأفضلها ، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها . وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي ، لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة . والحمد رب العالمين . سورة الحجر ! 2 2 ! يقول تعالى معظما لكتابه ، مادحا له : ! 2 2 ! أي : الآيات الدالة على أحسن المعاني ، وأفضل المطالب ، ! 2 2 ! للحقائق ، بأحسن لفظ وأوضحه ، وأدلة على المقصود ، وهذا مما يوجب على الخلق ، الانقياد إليه ، والتسليم لحكمه وتلقيه بالقبول ، والفرح والسرور . فأما من قابل هذه النعمة العظيمة بردها ، والكفر بها ، فإنه من المكذبين الضالين ، الذين سيأتي عليهم وقت ، يتمنون أنهم مسلمون ، أي : منقادون لأحكامه ، وذلك حين ينكشف الغطاء ، وتظهر أوائل الآخرة ، ومقدمات الموت . فإنهم في أحوال الآخرة كلها ، يتمنون أنهم مسلمون ، وقد فات وقت الإمكان ، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون . ! 2 2 ! بلذاتهم ! 2 2 ! أي : يؤملون البقاء في الدنيا ، فيلهيهم عن الآخرة . ! 2 2 ! أن ما هم عليه باطل ، وأن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم ، ولا يغتروا بإمهال تعالى ، فإن هذه سنته في الأمم . ! 2 2 ! كانت مستحقة للعذاب ! 2 2 ! مقدر لإهلاكها . ! 2 2 ! وإلا ، فالذنوب ، لا بد من وقوع أثرها ، وإن تأخر . ! 2 2 ! أي : وقال المكذبون لمحمد صلى عليه وسلم ، استهزاء وسخرية : ^ (يا أيها الذين نزل عليه الذكر) ^ على زعمك ! 2 2 ! إذ تظن أنا سنتبعك ، ونترك ما وجدنا عليه آباءنا ، لمجرد قولك . ! 2 2 ! يشهدون لك بصحة ما جئت به ! 2 2 ! فلما لم تأت بالملائكة ، فلست بصادق . وهذا من أعظم الظلم والجهل . أما الظلم ، فظاهر ، فإن هذا تجرؤ على وتعنت بتعيين الآيات ، التي لم يخترها ، وحصل المقصود والبرهان بدونها ، من الآيات الكثيرة ، الدالة على صحة ما جاء به ، وأما الجهل ، فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم ، فليس في إنزال الملائكة ، خير لهم ، بل لا ينزل الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقد له . ! 2 2 ! أي : حين تنزل الملائكة ، إن لم يؤمنوا ، ولن يؤمنوا ! 2 2 ! أي : بممهلين ، فصار طلبهم لإنزال الملائكة ، تعجيلا لأنفسهم بالهلاك والدمار ، فإن الإيمان ليس في أيديهم ، وإنما هو بيد ، ^ (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء ، ولكن أكثرهم يجهلون) ^ ويكفيهم من الآيات ، إن كانوا صادقين ، هذا القرآن العظيم ولهذا قال هنا : ! 2 2 ! أي : القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء ، من المسائل والدلائل الواضحة ، وفيه يتذكر من أراد التذكر ، ! 2 2 ! أي : في حال إنزاله ، وبعد إنزاله ، ففي حال

إنزاله حافظون له ، من استراق كل شيطان رجيم . وبعد إنزاله أودعه ا في قلب رسوله ، واستودعه في قلوب أمته ، وحفظ ا ألفاظه من التغيير فيها ، والزيادة والنقص ، ومعانيه ، من التبديل ، فلا يحرف محرف معنى من معانيه ، إلا وقيض ا له من يبين الحق المبين ، وهذا من أعظم آيات ا ونعمه على عباده المؤمنين ، ومن حفظه : أن ا يحفظ أهله من أعدائهم ، ولا يسلط عدوا يجتاحهم . ^ (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين) ^ يقول تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون : لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية : ! 2 2 ! ، أي : فرقهم وجماعتهم ، رسلا . ! 2 2 ! يدعوهم إلى الحق والهدى ^ (إلا كانوا به يستهزئون) ^ ، ! 2 2 ! أي : ندخل التكذيب ! 2 2 ! أي : الذين وصفهم الظلم والبهت ، عاقبناهم لما تشابهت قلوبهم بالكفر والتكذيب ، وتشابهت معاملتهم